

مختصر ابن كثير

91 - وما قدروا ا ﴿ حق قدره إذ قالوا ما أنزل ا ﴿ على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل ا ﴿ ثم ذرهم في خوضهم يلعبون .

92 - وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون .

يقول ا ﴿ تعالى : وما عظموا ا ﴿ حق تعظيمه إذ كذبوا رسله إليهم . قال ابن عباس ومجاهد : نزلت في قريش واختاره ابن جرير وقيل : نزلت في طائفة من اليهود . وقيل : في فنحاص رجل منهم . وقيل : في مالك بن الصيف (في اللباب : أخرج ابن أبي حاتم : خاصم مالك بن الصيف اليهودي النبي صلى ا ﴿ عليه وسلّم فقال له النبي : " أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة أن ا ﴿ يبغض الحبر السمين ؟ وكان حبرا سمينا فغضب وقال : ما أنزل ا ﴿ على بشر من شيء فأنزل ا ﴿ : { وما قدروا ا ﴿ { الآية } . { إذ قالوا ما أنزل ا ﴿ على بشر من شيء } والأول أصح لأن الآية مكية واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد صلى ا ﴿ عليه وسلّم لأنه من البشر كما قال : { أكان للناس عجا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس } وكقوله تعالى : { وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث ا ﴿ بشرا رسولا } وقال ها هنا : { وما قدروا ا ﴿ حق قدره إذ قالوا ما أنزل ا ﴿ على بشر من شيء } قال ا ﴿ تعالى : { قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس } أي قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند ا ﴿ في جواب سلبهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة { من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى } وهو التوراة التي قد علمتم وكل أحد أن ا ﴿ قد أنزلها على موسى بن عمران { نورا وهدى للناس } أي ليستضاء بها في كشف المشكلات ويهتدى بها من ظلم الشبهات وقوله : { تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا } أي تجعلون جملتها قراطيس أي قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم وتحرفون منها ما تحرفون وتبدلون وتتأولون وتقولون : هذا من عند ا ﴿ أي في كتابه المنزل وما هو من عند ا ﴿ ولهذا قال : { تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا } . وقوله تعالى : { وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم } أي ومن أنزل القرآن الذي علمكم ا ﴿ فيه من خير ما سبق ونياً ما يأتي ما لم تكونوا تعلمون ذلك لا أنتم ولا آباؤكم وقد قال قتادة : هؤلاء مشركو العرب وقال مجاهد : هذه للمسلمين .

وقوله تعالى : { قل ا ﴿ } قال ابن عباس : أي قل ا ﴿ أنزله وهذا الذي قاله ابن عباس هو

المتعين في تفسير هذه الكلمة لا ما قاله بعض المتأخرين من أن معنى { قل ا } أي لا يكون خطابك لهم إلا هذه الكلمة كلمة " ا " وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمرا بكلمة مفردة من غير تركيب والإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها .

وقوله : { ثم ذرهم في خوضهم يلعبون } أي ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتيهم من ا اليقين فسوف يعلمون ألهم العاقبة أم لعباد ا المتقين ؟ وقوله : { وهذا كتاب } يعني القرآن { أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى } يعني مكة { ومن حولها } من أحياء العرب ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وعجم كما قال في الآية الأخرى : { قل يا أيها الناس إني رسول ا إليكم جميعا } وقال : { لأنذركم به ومن بلغ } وقال : { ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده } وقال : { تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا } وثبت في الصحيحين أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي " وذكر منهن : " وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة " ولهذا قال : { والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به } أي كل من آمن با واليوم الآخر يؤمن بهذا الكتاب المبارك الذي أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن { وهم على صلاتهم يحافظون } أي يقيمون بما فرض عليهم من أداء الصلوات في أوقاتها